@ 144 @ وجاهته وعلت مكانته ، وأضيف إليه في الأيام الناصرية نظر جامع عمرو واستمر معه إلى أن سافر للحج فأخرج عنه حين أنهى إلى السلطان أنه أخذ مال الجامع فحج به فلما جاء بادر للاجتماع بالمستقر عوضه والتمس منه إرسال قاصد معه إلى خلوته بالشيخونية ) .

ليتسلم مال الجامع ففعل وظهرت براءته مما نسب إليه عند السلطان فمن دونه ، ثم استقر في الأيام المؤيدية في نظر دار الضرب بدون خلعة فدام نحو سنة وابتهج السلطان بما ضرب في أيامه وحج في أيامه أيضا وزار بيت المقدس ودخل الشام ، واتفق أن المؤيد وهو نظام قال له : ما فعل صهرك يعني الخليفة ثم كرر ذلك مرة بعد أخرى فقال له : أخت زوجته طالق ثلاثا فعد ذلك من وفور عقله ليزيل تخيله . وصاهر شيخنا على ابنتيه واحدة بعد أخرى وحج بالأولى منهما وبرز مع والدها بعد انفصال الركب بعشرة أيام فأدركا الركب بالقرب من الحوراء . ولم يزل يترقى حتى استقر في كتابة السر بالديار المصرية في رجب سنة تسع وثلاثين بعد صرف ابن البارزي ورغب حينئذ لأكبر أولاده أحمد عن مشيخة الخانقاه السرياقوسية ثم استعفى عن كتابة السر في التي تليها وأعطاه السلطان نظر الخانقاه مع نظر جامعه هناك ولبس لهما كاملية ، ثم في ربيع الثاني سنة اثنتين وأربعين استقر في نظر البيمارستان بعد وفاة النور بن مفلح وكان ينوب عن المحب فيه أخوه البدر حسين ، ثم في أول أيام الظاهر جقمق استقر في نظر الجيش عوضا عن الزيني عبد الباسط ثم انفصل عنه وهو غائب في الحج في سلخ ذي القعدة سنة ست وأربعين ثم أعيد إليه في شوال التي بعدها ثم صرف عن البيمارستان في ربيع الآخر سنة خمسين ثم عن الخانقاه نظرا ومشيخة ثم عن نظر الجيش ، وأعيد لكتابة السر مرة بعد أخرى وكذا إلى الخانقاه نظرا ومشيخة وآل أمره إلى أن لزم بيته على نظر الخانقاه فقط حتى مات في يوم الثلاثاء ثاني عشر رجب سنة ثلاث وستين ودفن بتربة تجاه الناصرية فرج برقوق بعد أن أثكل ابنا له كان أعز عنده من سائر أولاده عوضهما ا الجنة ورحمه وإيانا . وكان رئيسا دينا معظما في الدول مع السكون والعقل والحشمة والوقار والاحتمال والمداراة ، موصوفا بالإمساك مع الثروة وبقلة البضاعة في العلم مع اشتغاله حتى بعد رياسته على الأئمة ممن كان يستدعي بهم عنده كالبساطي قبل دخوله في القضاء والشرواني بل أسكنه عنده بقراءته وقراءة غيره في الفقه وأصوله والعربية والعقائد وغير ذلك . أثنى عليه شيخنا في ترجمة أبيه من درره بقوله : كان حسن المعرفة بالأمور خبيرا بعشرة أهل الدولة وغيرهم قوى الرأي مسعود